قصّة يعقوب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

نبيُّ الله يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمٰن. وهو الذي بُشِّرت بمولده جدَّته سارة، بعد أن بُشِّرت بولادة أبيه إسحاق. ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

وقال تعالى عنه وعن أبيه إسحاق عندما بُشِّرَ بهما إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49 - 50].

وهذا النبيَّ الكريم له اسم آخر هو: إسرائيل. وقيل: إن اسمه اشتق من الإسراء. ومعناها: السير ليلاً. فكان في كثير من الأحيان يسير ليلاً ويكمن نهاراً.

وتمتَّع هذا النبي الكريم بالحلم والعلم، وهو والد بني إسرائيل المذكورين في القرآن الكريم وهم اثنا عشر ولداً من الذكور، والمعروفين بـ«الأسباط»[1]. وقد سُمُّوا بالأسباط؛ لأنَّ كل واحد منهم صارت له قبيلة. والسِّبط من اليهود كالقبيلة من العرب. ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: 160]. ومن هؤلاء الأسباط نبيُّ الله يوسف.

---

(1) الأسباط: مفردها سبط. وتعني: الشجرة الكثيرة الأغصان.

ويعقوب إسرائيل الله هو جدُّ الإسرائيليِّين وليس جد العبرانيِّين. لأن كلمة العبرانيِّين تطلق على الأبناء من ذرِّيَّة إبراهيم أو إسحاق أو يعقوب، بينما كلمة الإسرائيليِّين تطلق على العبرانيِّين من أبناء يعقوب فقط.

نذر يعقوب:

في أحد الأيام مرض يعقوب مرضاً شديداً وعانى الكثير، ونذر إن شفاه الله فإنه سيترك أكلة طالما كانت محبَّبة إليه. ويحرِّمها على نفسه، وهي لحوم الإبل.

وشفي مما عاناه، واستحقَّ وفاء النذر عليه. فترك أكل لحوم الإبل. وكان هذا الأمر قبل نزول التوراة على موسى. ولكن الإسرائيليِّين ادعوا كذباً فيما بعد أنَّ لحوم الإبل محرَّمة عليهم، وأنَّها مذكورة في التوراة التي أنزلت لاحقاً على موسى. قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: 93].

وقد ذكرت قصّة يعقوب في القرآن الكريم مرفقة بقصَّة يوسف، وسنأتي على تفاصيلها في حديثنا عن يوسف إن شاء الله.

وفاة يعقوب:

بعد حياة طويلة مليئة بالمفاجآت الحلوة والمرَّة، كان آخرها المفاجأة السارَّة التي دلَّت على أنَّ يوسف ولد يعقوب لا يزال على قيد الحياة. وكان اللقاء في مصر. وسعد الأب بلقاء ابنه الضائع فترة قيل: إنها امتدَّت إلى سبع عشرة سنة.

بعد ذلك جاءت المنية وأزفت الحياة على نهايتها. فكان لهذا النبي الكريم موقف مع أبنائه ووصيَّة سطَّرها لنا القرآن الكريم، حتى نعتبر منها، ونوصي بها أولادنا متى استطعنا ذلك.

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

فهذه الوصيَّة البليغة كانت للاطمئنان على أولاده... ماذا يعبدون... في جو كانت عبادة الأصنام منتشرة من حولهم.

فأجاب الأسباط الذين تربوا في مدرسة التوحيد التي حمل لواءها أبوهم يعقوب، وجدُّهم إسحاق، وأخوه إسماعيل، وجدُّهم الأكبر إبراهيم خليل الرحمٰن، بأنَّهم يعبدون الله الذي لا إلٰه إلا هو رب العالمين.

العبر من قصَّة يعقوب:

يؤخذ من قصَّة يعقوب عدة عبر، منها:

1 - صلاح الآباء يورث الأبناء خيراً.

2 - إن إبراهيم تمنَّى أن يكون له ولد، فأكرمه الله بولدين وحفيد. وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

3 - إذا كان الأب بارًا بأبيه، وهبه الله أبناءً بارِّين به.

4 - شجرة الخير ممتدة من الآباء إلى الأبناء، زكيَّة الثمر، طيِّبة الأصل.